من نقود متعددة تملأ جوانب الحياة الأدبية اليوم . وهي نقود قد تُعاب أحيانًا بإغراقها في الذاتية والانطباعية ، وتعاب أحيانًا أخرى بتجرُّدها الموضوعي الذي يُدخل غير الأدبيات في مجال الأدب ، ومن هنا كان ربطها بماضيها مبرِّئًا لها من كثير من التهم ، ومساعدًا على إبرازها في إطارها الصحيح ؛ ذلك أن الذاتية الخالصة أمر في غاية الصعوبة ، كما أن الموضوعية الخالصة أشد منها صعوبة ؛ لأن صياغة الأدب – وكذلك نقده – ترجع إلى مجموعة من النظرات والإدراكات الفطرية والمكتسبة ، أ لغوية كانت أم نفسية وتاريخية واجتماعية ، كما ترجع إلى مجموعة من القيم التي تتغير من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة ، وهي أمور تمتزج فيها الجوانبُ الذاتية بالموضوعية بشكل يصعب تحديدُه ؛ لأن النقد والأدب – كليهما – يتشابكان في وحدة إنسانية لها طبيعة فنية تعتمد على الذاتية والموضوعية على سواء .

وهكذا يكون نظرُنا في النقد القديم بأسسه النظرية والتطبيقية دعامةً صالحة لهذا العصر ، وهي دعامة لا يمكن القول بأنها تخلق فنانًا من العدم ، ولكنها تهيئ له مجال التفوق ، إذا ما أحسن تفهمها والإفادة مما فيها من قيم صالحة له ، ومزجها بما يفيده من تطور المناهج النقدية المعاصرة ، بحيث لا ينغلق أمام جديد ، أو يتعصَّب لقديم .

الدكتور محمد عبد المطلب